ذكرى ثورة الملك والشعب

وجه صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ، يوم 22 ربيع الاول 1416 هـ موافق 20 غشت 1995م، خطابا هاما الى الامة بمناسبة الذكرى الثانية والأربعين لثورة الملك والشعب و كان جلالته خلاله محفوفا بصاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سيدي محمد وصاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد.

وفي ما يلي نص الخطاب الملكي السامي:

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه.

شعبي العزيز

جرت العادة أن أخاطبك في مثل هذا اليوم كل سنة وذلك لتخليد ذكرى ثورة الملك والشعب. وقد قيل وكتب الكثير عن هذه الذكرى ولن ينساها إن شاء الله تاريخنا المجيد بل سوف تزيد الأقلام في ما كتب عنها وسوف تبقى الذاكرة حية ممتدة من جيل الى جيل وذلك تطبيقا لقوله سبحانه وتعالى «وذكر فإن الذكرى تنفع المومنين».

وسوف أبتدىء خطابي هذا - شعبي العزيز - بكلمتين قالهما والدي رحمة الله عليه عند رجوعه من المنفى.

الاولى : قال من كتاب الله عز وجل «الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور».

والثانية : قال حكمة من حكم جده وسيده سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم «قد خرجنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر».

وأريد أن أركز على هذه النقطة الأخيرة. فعلا لقد خرجنا من جهاد أصغر الى جهاد أكبر. وحينما أرجع بالذاكرة الى يوم 20 غشت سنة 1953 حينما كانت السماء كالحة وكانت الآمال منقطعة وكانت العقول تائهة لم يكن أحد منا يعتقد أن ذلك اليوم سوف

يكون انطلاقة أيام ماجدة وخالدة يجب أن تكتب بماء الذهب في تاريخ بلدنا. نعم مضت السنون والأحقاب على تلك المدة وحينما أقيم ما وصل إليه المغرب من تقدم وازدهار في عدة مجالات أرى أن الحصيلة ولله الحمد حصيلة إيجابية.

نعم عرفنا في طريقنا صعوبات ومشاكل ولم تكن أمامنا دائما إلا النجاحات بل وقع لنا أن رسبنا في بعض الرهانات ووقع لنا أن لم نكن في المستوى أمام بعض المشاكل. ولكن حينما نرى الميادين الاقتصادية والاجتماعية ونرى أن المغرب رغم قلة وسائله أخذ على نفسه أن ينمي هذين المجالين الاجتماعي والاقتصادي بكيفية متوازية كان أنذاك يراهن ويضرب للتاريخ مواعد.

والكثير كان لايظن أننا سنصل الى تلبية حاجيات المجال الاقتصادي والمجال الاجتماعي. ولكن وصلنا ولله الحمد الى ما كنا نتوخاه. وصلنا الى مغرب نام مغرب لايعد من الدول السائرة في طريق النمو بل من الدول النامية. وصلنا الى مغرب يحترم نفسه في الداخل وأعطى لنفسه مؤسسات دستورية وديمقراطية تجعله يسير في المحجة البيضاء لايزيغ عنها الا هالك.

نعم يمكن أن يقال إنه وقع في هذا الانتخاب أو ذاك تزوير أو غش ولكن هذا المظهر الشكلي لايغير أي شيء من الثوابت الدستورية المتقدمة المتطورة التي أرادها المغرب وأردناها لأن بلدنا يريدها تمشيا مع روح ثورة الملك والشعب.

فكل ما نأمله لبلدنا نشعر أخيرا أن بلدنا كان ينتظره وكل ما يتوق اليه بلدنا نحس داخل أنفسنا أننا نقاسمه ذلك الطموح وتلك الرغبة.

إلا أن هناك مشكلا أساسيا يقض مضجعنا ويذهب بمالنا وربما يجعل مثالنا في خطر ألا وهو - أكرر ذلك - مشكلة التعليم لأنه لإنماء بدون تعليم ولانماء بدون رجال ولانماء بدون تكوين. فهل يا ترى سنبقى هكذا الى ان يصل المغرب الى 40 مليون نسمة. هل سيكون المغرب أنذاك قادرا على أن يضمن العيش والقوت والشغل والكرامة والعزة لجميع مواطنيه حينما يبلغ عددنا 40 مليون.

أقول هذا للتذكير بأن هذا المشكل - وإن كان ليس هو موضوع خطابنا اليوم - سوف أكرره عليك شعبي العزيز مرارا وتكرارا كلما أتيحت لي الفرصة لأنه أرانا كالذي وصل الى قمة جبل وأراد إن يقفز في الهواء فإذا به يجد أنه نسى أن لامظلة له. فنهايته هي

أن يهلك ويحطم مكاسبه. ولكن أرجو الله أن يكون ندائي الأول وتذكيري هذا قد بلغا هدفهما وأن نهتدي الى الطريق السوي لإيجاد حلول ناجعة وإيجابية وفي أقرب وقت ممكن ليمكننا أن ننام وأن نرتاح وليمكننا أن نقول «عند الصباح يحمد القوم السرى».

سأقترح عليك شعبي العزيز يوم الجمعة 15 سبتمبر المقبل استفتاء تعديل للدستور يتعلق بعرض القانون المالي امام مجلس النواب في آخر دورة شهر ابريل بدل آخر دورة شهر اكتوبر. في غضون السنة القادمة سأدعوك شعبي العزيز الى استفتاء اخر لتعديل دستوري يجعل للمغرب غرفتين غرفة النواب وغرفة الشيوخ.

شعبي العزيز

كنت قلت لك في خطاب سابق إنني أعتبر أنه يجب تعديل الدستور تعديلا ينص على التصويت على القانون المالي في آخر شهر يونيو وكنت قلت لك إنني - أعرض عليك هذا التعديل للاستفتاء. هناك من يظن أن هذا التعديل هو تعديل تقني. أقول لا. فهو ليس تعديلا تقنيا أبدا بل في تسيير نظام الدولة المالي والاقتصادي هو تعديل أساسي ذلك لأن المغرب لايزال وسوف يبقى لمدة سنوات يعتمد قبل كل شيء على فلاحته. وفلاحتنا كما تعلم مهددة بالمخاطر الطقسية وكيفما كانت مجهوداتنا لتنويع الفلاحة وتطويرها وكيفما كانت بحوثنا وكيفما كانت تخطيطاتنا سنحتاج الى حقب من الزمن لنصل الى معادلة تجعل الفلاحة وإن كانت أساسا لن تصبح الا أساسا من بين الأسس الأخرى. فإذن علينا أن نضرب حساب المدخول الفلاحي وندخله في ميزانيتنا حتى لانكون معرضين للتشاؤم السلبي ولا التفاؤل الحالم في التخمينات والتقديرات.

إن هذا التعديل ليس تعديلا تقنيا لأن المدخول الفلاحي حينما تكون السنة طيبة يتراوح ما بين 600 و 700 مليار سنتيم من المال الذي لاتعطيه الدولة ولكن تتمتع به الأمة فيبيع من يبيع ويشتري من يشتري ويكري من يكري ويكتري من يكتري. ويكثر الروجان وهكذا يكون نشاط دائب يجري في شريان الامة وفي شريان نسيج الشعب المغربي.

فلهذا - شعبي العزيز - أقترح عليك يوم الجمعة 15 شتنبر المقبل إن شاء الله التعديل الدستوري الاتي.. وهو أن يكون التصويت على الميزانية في آخر دورة شهر أبريل بدل اخر دورة شهر أكتوبر. وأملي - شعبي العزيز - أن تجيب بنعم على عادتك ثقة أولا في

ما أطلبه منك وثانيا علما راسخا بهذه الحقيقة التي لايمكن أن ينكرها أحد الا من أراد أن يتفلسف أو أن يكون بعيدا عن الحقائق اليومية. ولكن لن أقف عند هذه الخطوة بل ـ أدعوك في غضون السنة المقبلة إن شاء الله الى استفتاء اخر. استفتاء مهم جدا يمس صلب الدستور وصلب النظام التمثيلي عندنا في المغرب. ذلك أنني ـ اقترح عليك ـ شعبي العزيز ـ في السنة المقبلة إن شاء الله ان تصوت بنعم على تعديل للدستور يجعل للمغرب غرفتين.. غرفة النواب وغرفة الشيوخ مثلا كما يمكن ان نسميها انذاك. لماذا ـ أدعوك الى هذا الاستفتاء في السنة المقبلة والذي ادعوك للتفكير فيه جيدا منذ الان.

اولا لان الدستور المعدل الاخير يذكر في فقراته الجهة. والجهة لايمكن ان يكون لها معنى الا اذا كانت ممثلة على المستوى التقريري لا الاستشاري.

ثانيا نعتقد ان الجماعات المحلية والحرف كيفما كان نشاطها وحيويتها وكيفما كان تنافس اعضاء مجالسها لايمكنها ان تعطي ما هو منتظر منها ما دامت مشتتة ومتفرقة وما دامت لم تجمع اراؤها ورغباتها وقراراتها بان تكون ممثلة في مجلس نيابي له حق التقرير.

اخيرا نعتقد ان هذا المجلس الثاني سيعطي للامركزية معناها الحقيقي واننا سنرى انذاك الجهات تدلي بارائها وتقوم ما اعوج وتعبر كذلك عن طموحاتها ونرى انذاك تنافسا بين الغرفتين تنافسا حقيقيا اما الان فمجلس النواب عليه ان يهتم بالعام ويهتم بالخاص. والذين يهتمون بالخاص وبالحرف وبالجماعات المحلية والحالة هم سواد العاملين في المغرب الممثلين للفلاحين والتجار والصناع والشغالين وارباب الحرف هم الذين يعطوننا قوتنا اليومي وهم الذين يكونون يدنا الحقيقية ووسائل عيشنا. فلا يعقل ان يبقوا ممثلين بالثلث فحسب ولايعقل كذلك ان يكونوا فقط في مجلس استشاري كالمجلس الاجتماعي والاقتصادي بل يجب ان يعطوا حظهم ورتبهم ومكانتهم الحقيقية في مجلس نيابي له حق التقرير.

لماذا لم استجب الى بعض الرغبات التي رفعت الى اتخاذ هذا القرار من قبل. إن ذلك يرجع لسببين السبب الاول هو انني لازلت أعيش بذاكرتي تلك المرحلة التي كان للمغرب فيها غرفتان. وكانت التجربة انذاك لا اقول فاشلة ولكن كانت معاقة. ولم ارد ان يقع المغرب في مثل المشكل الذي كان فيه في ايام الدستور الاول.

ثانيا ربما أنا بطيء في التفكير وان كنت سريعا في الاستماع. فحينما تكون المسألة متعلقة بمصير البلاد اكون بطيئا في التفكير ولكن سريعا في الانجاز. ربما كنت بطيئا في التفكير لأنني أردت ان ابني اختياري هذا الذي سيوضع امام اختيارك لان الكلمة الاخيرة - شعبي العزيز - هي لك والقرار الاخير هو قرارك. فقبل ان أضع هذا الاختيار امام رأيك أردت ان اقتنع لاقنعك. اما الان فقد اصبحت مقتنعا وحين يأتي الوقت في السنة المقبلة ان شاء الله - اوجه اليك انذاك خطابا بعد استشارات مع هؤلاء واولئك.. خطاب المقتنع الذي يريد ان يقنع. ولكن لايخامرني شك انك قد ادركت مدى هذا التعديل وقد قفزت بكيفية نوعية وكمية في ظرف وجيز من التفكير وعلى ضوء هذه الكلمات الوجيزة التي قلتها امامك اليوم انك قد قفزت في الزمان وانك قد حللت وسوف تصبح تحلل. واننا على عادتنا سوف نكون على وثيرة واحدة.

لماذا شعبي العزيز ذكرت بهذه المناسبة تعديلين في الدستور.

كما يقول علماؤنا وأساتذتنا «نرجع الى ما كنا بصدده».

بدأت كلمتي هذه يقول النبي صلى الله عليه وسلم «لقد خرجنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر» لابين لك - شعبي العزيز - ولاعطيك الدليل القاطع على ان الكلمات لسيت كلمات جوفاء ولافارغة وان الخروج من الجهاد الاصغر الى الجهاد الأكبر لازال ينطبق علينا بعدما ينيف على اربعين سنة وان الخروج من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر سيبقى هو منهجنا ومنهج ابنائنا وحفدتنا حتى يمكننا ان نتصدى للمخاطر وان نتغلب على المصاعب وان نكون في مستوى ما ينتظرنا من مسؤوليات جسام.

فهناك اولا كما قلت لك مسألة ضمان التغذية للاجيال المقبلة وتشغيلهم واسكانهم واعطائهم الحياة الكريمة العزيزة. ثم يجب ان يبقى المغرب بلدا محترما سواء في جهته او في قارته او في العالم باسره.. يجب ان نبقى محترمين والاحترام لايولده سوى شيء واحد هو التحرك الحكيم والدؤوب من الحسن الى الاحسن ومن الطيب الى الاطيب ومن الكريم الى الاكرم والسير دائما وابدا للخروج من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر.

اننا نخوض اليوم جهادا اكبر ولكن جهادنا غدا سيكون اكبر من جهادنا اليوم لان حالة العالم غدا لن تكون كحالته اليوم. فمشاكل الدنيا تجاريا وصناعيا وسياسيا

وعسكريا - لاننا نسمع اليوم دوي المدافع في كل جهة - لن تبقى على حالها ولست متفائلا بالنسبة للمستقبل وبالنسبة للعالم. فالمساكل لن تمحي بل ستتزايد وتتنوع واذا لم نكن قادرين على ان نواجهها وان نكون مسلحين للدفاع عن انفسنا ولنتبوأ المقام اللائق بنا سوف نكون انذاك قد تراجعنا من الجهاد الاكبر الى جهاد اصغر ومن جهاد اصغر الى الاضمحلال والامحاء تقريبا - لاقدر الله - من خريطة عالم الشعوب المحترمة التي توزن كلمتها بميزان الثقة والاعتبار.

قبل ختام كلمتي هذه - شعبي العزيز - اريد ان نترحم معا على ارواح شهدائنا اولئك الذين منذ 20 غشت الى يوم 16 نوفمبر 1955 ضحوا بارواحهم وحرياتهم واسرهم. كما اريد ان اترحم على ارواح شهدائنا في الصحراء الذين بذلوا النفس والنفيس للدفاع عن وحدتنا الترابية. ارجو الله سبحانه وتعالى أن يبوئهم مقامهم اللائق بهم «مع النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا».

صدق الله العظيم والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.